الفصل السابع

الإرهاب الإسرائيلي
خلال الحرب

« خلال حرب الأيام الستة ، مات الآلاف من الجنود المصريين ضرباً بالرصاص أو عطشاً بعد نهاية القتال ، ولقد دارت مناقشة لمعرفة إن كان يجب أو لا يجب إنزال المياه بالمظلات لآلاف الجنود المصريين التائهين في الصحراء ، ولكن ما تم تنظيمه كان هو مصيدة للرجال بين التلال .. شجعها بعض الضباط الكبار ، ومنهم من ساهم فيها شخصياً » ..

* * *

يوري أفنيري
هآرتس : ١٩٧٩/٨/١

الفصـــل الســـابع

الإرهـــاب الإســـرائيلي خـــلال الحـــرب

آن للشعب العربي أن يعرف الحقيقة ، آن له أن يعرف ما تعرض له أبناء هذا الشعب في أبشع هزيمة حلت به ، آن لكل المصريين أن يعرفوا نوع الإرهاب الذي تعرض له جنودنا من جنود جيش الدفاع الإسرائيلي في سيناء .. لقد صدرت حتى الآن عشرات الكتب عن أسباب هزيمة يونيو ، أو ما أسموها بالنكسة ، ولكن لم يتعرض كتاب واحد عن وحشية جيش الدفاع الإسرائيلي للآلاف الذين انسحبوا بناء على أوامر من القيادتين السياسية والعسكرية المصرية ، وكان الإرهاب الإسرائيلي قد وصل إلى قمته في هذه الحروب ، لقد أسقط المصريون جريمة الإسرائيليين كبرياء ، ولكن لا كبرياء في التاريخ ..

وقبل الخوض في الإرهاب الإسرائيلي خلال هزيمة يونيو ، أود أن أقول ان القوات المسلحة المصرية لم تقاتل في حرب يونيو ، وأن القيادة السياسية قد قامت بمناورة سياسية بديكور عسكري فسقطت في الفخ ، لقد جاء إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تقرير سوفيتي معزز بتقارير أخرى تؤكد وجود حشود عسكرية على الجبهة السورية ، ولم يكن الرئيس عبد الناصر مستعداً لدخول القتال في هذه الفترة ، فإن القوة القتالية المصرية القادرة على خوض القتال موجودة في اليمن ، والحالة الاقتصادية سيئة للغاية بسبب إنفاقات حرب اليمن ..

لذلك فإن المجندين في مصر ، لم يتدربوا بشكل جيد على القتال ، فإن التدريب في حاجة إلى أموال طائلة من الميزانية العسكرية ، ولكن الميزانية العسكرية تذهب إلى حرب اليمن ، لذلك عندما قرر عبد الناصر إرسال الحشود العسكرية إلى سيناء بهدف إجبار إسرائيل على سحب قواتها من الحدود السورية ، إنما أرسلها في مظاهرة إعلامية ، والقوات التي تسافر لحرب جدية لا تذهب بمصاحبة الطبول وأمام السفارات وعدسات التليفزيون والصحافة وميكروفونات الإذاعة ..

ذهبت القوات المصرية إلى سيناء ، والإدارة السياسية المصرية لا تنوي الدخول في الحرب ، ولم تكن هناك أي خطة للحرب ، ولا موعد لها ، وبدأت الأحداث تتداعى سريعاً ، حتى فلت الزمام من أيدي فرسان الحكم ، فقامت إسرائيل في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ بضربة جوية قاضية ، وتصورت القيادة المصرية أن ما حدث عام ١٩٥٦ في

سيناء ، يصلح لعام ١٩٦٧ ، فأمرت القوات المصرية بالانسحاب من سيناء فوراً لحماية القاهرة !!!

لقد تشتت جانب من قواتنا في سيناء ، وسار بعض الأفراد جماعات في الطريق إلى قناة السويس دون سلاح أو ماء أو حتى غذاء .. وبعد أيام قليلة كان لإسرائيل السيطرة الكاملة على سيناء جواً وبراً ..

ويروي لي أحد الضباط :

– لقد كنا في رفح ، عندما صدرت الأوامر بالانسحاب ، وكانت الأوامر حاسمة ، واتجهنا بسيارة جيب ، ومعي تسعة أفراد في الطريق إلى القناة .. وسمعنا صوت طائرة ، فقفزنا جميعاً من السيارة ، فانخفضت الطائرة ، وضربت السيارة بصاروخ فتحولت إلى كومة من النيران ، ثم إلى كتلة حديدية سوداء .. كان لابد أن نسير بلا مياه ولا سلاح ولا غذاء عشرات الكيلومترات في لهيب شمس يونيو ، وبعد يوم ونصف من السير على الأقدام أصابنا جميعاً الإعياء ، وكدنا لا نستطيع مواصلة السير وأثناء مواصلة السير ، وجدنا تلاً من الكثبان الرملية ، قد ألقى بقليل من الظل ، فجلسنا خلفه نستريح أو نموت ، إلا أننا سمعنا صوت طائرة هليكوبتر ، فقرر الزملاء الخروج من خلف التل ، والتلويح للطائرة حتى لو كانت إسرائيلية لتأخذهم كأسرى حرب بدلاً من الموت فوق هذه الرمال ، رفضت ، بل وطلبت منهم عدم الذهاب ، إلا أن صوت الطائرة كان أقوى من صوت وإغراء الحياة .. أقوى من توسلي لجنودي ، فخرجوا جميعاً ، ولم أذهب معهم لعلمي بغدر الإسرائيليين ، وكنت أقول إن الله إذا كان قد كتب لنا الموت هنا فسوف نستقبله بروح مؤمنة ، ولكني لن أسلم نفسي لليهود ..

استدارت الطائرة .. والجنود يلوحون لها بأيديهم .. وهبطت الطائرة .. ونزلت منها مجندتان جميلتان تحملان مدافع رشاشة .. وسألتهم واحدة منهما :

– ما هي رتبة كل واحد منكم ؟

فقالوا : جنود ..

قالت : تريدون ماء .

قالوا : نعم ..

قالت : ألم يقولوا لكم في بلادكم ان جيش إسرائيل ، جيش من العاهرات[1] ؟

قالوا : لم نسمع ذلك .

قالت : بودي أن أترك منكم جندياً واحداً حياً ليبلغ أهلكم في مصر أن جيش العاهرات قد انتصر عليكم .

وما إن انتهت من هذا الحديث حتى أشارت لزميلتها وضربت الاثنتان ، جنودي بوابل من الرصاص ، مع صيحات بالعبرية ، لم أفهمها ، وسقط الجنود في مذبحة أمامي ، وذهبت المجندتان الإسرائيليتان إلى الطائرة ، وطارت لصيد آخر في سيناء ..

يستمر الضابط في روايته : مع الإجهاد ، والمجزرة التي حدثت أمامي لم أشعر بشيء إلا في صباح اليوم التالي ، وأحد بدو سيناء يوقظني ، ويقدم إلي قليلاً من الماء ، ويأخذني على ناقته حتى قناة السويس التي لم تكن بعيدة عن الموقع الذي حدثت فيه المجزرة ، وعبرت القناة ، وقضيت شهراً في المستشفى ولم أنس حتى اليوم المجزرة الإسرائيلية لجنودي العزل من السلاح ..

* * *

إدارة الإعلام في جيش الدفاع الإسرائيلي ، أرادت لإحدى الصحف الفرنسية الانفراد بتحقيق صحفي مثير عن « حرب الأيام الستة » .. أخذت المصور الصحفي في طائرة هليكوبتر إلى سيناء ، وقام المصور بتصوير مجموعة من الجنود المصريين يسيرون سيراً على الأقدام في الطريق إلى قناة السويس ، وهم يلوحون للطائرة ، ثم صورة أخرى لنفس الجنود وقد هدهم التعب ، وسقطوا على الأرض من فرط الإعياء ، ثم صورة ثالثة والذئاب تنهش في لحومهم ..

كاتب المقال ، قال انه تابع هؤلاء الجنود عدة أيام حتى سقطوا على الأرض من فرط التعب حتى التقطتهم ذئاب الصحراء ..

صدق العالم هذه الرواية ، ورغم وحشيتها إلا أنها كاذبة ، والتصور الحقيقي للقصة ، أن مصور المجلة الألمانية[2] ، قد صور مجموعة الجنود المصريين وهم يسيرون في الصحراء ، يلوحون للطائرة الإسرائيلية لتنقذهم ، ثم تركوهم فترة من الزمن ، وعادوا

---

(١) كانت مجلة آخر ساعة القاهرية قد نشرت في عددها الصادر أول يونيو ١٩٦٧ تحقيقاً عن المجندات الإسرائيليات وقالت « جيش العاهرات » .

(٢) مجلة دير شبيجل الألمانية (إعداد يونيو عام ١٩٦٧) ..

إليهم ، وأطلقوا عليهم الرصاص ، وتركوهم قتلى ، حتى جاءت الذئاب لتأكل لحومهم .

* * *

سقطت مقدمة مجموعة من الأفراد في موقع إسرائيلي بسيناء ، وكان عدد الجنود المصريين الذين سقطوا أسرى في أيدي الإسرائيليين ، وظل خارج الموقع الإسرائيلي بقية المجموعة ، وعددهم أربعة أفراد ، فقام الجنود الإسرائيليون بربط الجنود الثلاثة بالحبال ثم ضربوهم بالأيدي والأرجل ، ثم قام أحد الجنود بذبح الجندي المربوط ، بعدها أطلقوا النيران على الإثنين ..

* * *

ثم .. هناك الفصيلة الكاملة ، التي سقطت في أيدي الإسرائيليين أسرى فقتلوهم جميعاً من بطونهم بالسونكي (السلاح الأبيض) ، والقتل بالسلاح الأبيض ، في البطن ، عادة يهودية قديمة ، استخدموها في كثير من المذابح التي قاموا بها عبر التاريخ البشري ، وكان أفظعها بقر بطون الحوامل من الأمهات الفلسطينيات في قرية دير ياسين ..

* * *

لا يختلف إثنان أن مصر دخلت حرب عام ١٩٦٧ ، وأن الانفصال بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية أدى إلى إحداث تلك الحرب ، وهنا لا نسجل سير المعارك أو الأسباب التي أدت إلى هزيمة عام ١٩٦٧ ، ولكننا نكرر أن هدفنا هو كشف الإرهاب الإسرائيلي أثناء الحرب ، في وقت لا يحتاج فيه الأمر إلى إرهاب ، وفي سبيل ذلك قمنا بإجراء حوار مع بعض الذين نجوا من الإرهاب أثناء حرب يونيو ، وتكاد تكون الصورة مكررة لما حدث للجنود المصريين في سيناء ..

لذلك .. اخترت قصة عشرة من الضباط والجنود المصريين من الكتيبة ٣٤٢ كانت هذه الكتيبة بقيادة المقدم عاطف عبد القادر ضمن اللواء ١١٤ بقيادة اللواء سعيد إبراهيم سعيد ، وكان اللواء مهمته حماية الطريق الأوسط ، وأخذ مواقعه عند جبل لبنى يمين جبل الحلال .. وكان أن التقينا ببعض جنودها ، مهمتها حماية مؤخرة الكتيبة ، ولم تكن مسلحة تسليحاً كافياً ، فلا يوجد لديها مدافع مضادة للدبابات ولا حتى ألغام ..

وفي الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، وفي الساعة الخامسة مساء وجدت الكتيبة أمامها ، تحت الهضبة ما لا يقل عن أربعين دبابة إسرائيلية ، لم تطلق النيران ، واحتار قائد الكتيبة المصرية من أمر هذه الدبابات ، هل صديقة ؟ .. جاءت من الجزائر ؟ .. هل هي

إسرائيلية ؟ .. لا يوجد أي علامات مميزة ، فأمر القائد بإطلاق النار عليها ، وما أن تم إطلاق النار عليها حتى قامت الدبابات في محاولة لدك هذا الموقع ..

ثم جاء المساء فتوقفت عن إطلاق النيران ، ولكنهم عرفوا أن هذه الكتيبة لا تملك إلا الأسلحة الخفيفة ، بحث القائد عن ألغام فلم يجد ، بحث عن أسلحة مضادة للدبابات فلم يجد ، حاول الاتصال بقيادته ، ولكن أجهزة الاتصال لم تصل بعد ..

وفي الصباح ، كان يوم الجحيم في جبل لبنى ، قامت الدبابات – التي تحاصر الموقع – باقتحامه ، قام بعد الجنود ، ورفعوا أيديهم ليسقطوا في الأسر .. ولكن الدبابات داست عليهم جميعاً ، وعندما تمكنت الدبابات الإسرائيلية من قتل العشرات تحت جنزير الدبابات ، فر الباقون ، وحاولوا حصدهم برشاشات الدبابات ..

إن الذين استشهدوا في هذا الموقع ، قد لقوا حتفهم تحت جنزير الدبابات أو برصاصات في ظهورهم وهم يفرون من المجزرة ..

* * *

تمكن عشرة منهم الإفلات من المجزرة ، وبدأوا رحلة العودة إلى الوادي عبر صحراء سيناء ، لقد عانوا الكثير ، عانوا الجوع والعطش ، وبدأ الموت يقترب منهم .. ثم سمعوا نباح الكلاب .. فتجدد الأمل .. أمل الحياة .. فهذا يعني وجود حياة قريبة ..

لقد شاهدوا في الطريق عشرات الصقور ، وغيرها من الطيور الجارحة .. ولكن كان هذا يخيفهم ، فكأن هذه الطيور في انتظار موتهم ، لتنهش في لحومهم .. فلقد انتشرت في سيناء عام ١٩٦٧ تلك الأنواع من الطيور ، من كثرة الجثث التي قتلها اليهود على أرض سيناء ..

* * *

بعد معاناة .. استمرت عشرة أيام .. وجدوا عين ماء وأشجاراً قليلة .. وعدداً من الخيمات .. ونسوة وأطفالا .. وسقطوا من الإعياء أمام هذه المنطقة .. وجاءت لهم النسوة بشكل روتيني بالمياه .. والغذاء .. وناموا نوماً عميقاً لأول مرة ..

وفجأة سمعوا صوت سيارات قادمة ..

وجاءت لهم النسوة وطلبت منهم الهروب إلى الصحراء .. وأرشدت النسوة الجنود العشرة على طريقة السير ، وحملوا ما استطاعوا من مياه ..

وصعدوا إلى ربوة قريبة .. وشاهدوا أقسى مشهد يمكن أن يروه في حياتهم ..

لقد جاء اليهود بالنسوة والأطفال .. وأوقفوهم طابوراً .. ثم أطلقوا عليهم النيران .. وخروا جميعاً صرعى .. ثم ألقوا بقنابل حارقة على الخيمات .. .. واشتعلت النيران في كل مكان .. وركبوا سياراتهم واختفوا ..

* * *

سار الجنود العشرة في الصحراء ..

وفجأة لاحت لهم من بعيد قناة السويس ..

وكادوا أن يندفعوا إليها .. إلا أنهم شاهدوا بعض الجنود الإسرائيليين ودبابات إسرائيلية .. فاجتمعوا خلف التبة ليقرروا ..

قال أحدهم .. لننتظر المساء .. ونحاول العبور ..

قال آخر .. ولكن يمكن أن يقتلونا في المياه ..

وقرروا في النهاية .. أن يتقدم نصفهم إلى القناة .. فمن المؤكد أن اليهود سوف يتركونهم يعبرون القناة ..

وتقدم خمسة جنود فعلاً ..

وشاهدهم الجنود الإسرائيليون .

وقال أحدهم بالعربية .. قف .. وارفعوا أيديكم .

ووقفوا .. ورفعوا أيديهم ..

وفجأة .. انطلق الرصاص .. ومات الخمسة ..

* * *

كان المشهد قاسياً .. ولا يملكون في مناخ ١٩٦٧ الرد عليهم ..

وقرروا الانتحار ، واختاروا أصغرهم سناً ليطلق الرصاص .. من مسدس ، هو ما تبقى معهم من سلاح ، ولكن هذا الشاب الصغير رفض ذلك .. وبعد ساعات لاح لهم شاب من أبناء سيناء الجنوبية .. وأخذهم عبر الملاحات حتى مدينة الكاب ، ومن هناك عادوا إلى الوادي ..

الحكايات كثيرة لما فعله اليهود في الجنود المصريين ، في سيناء أثناء الإنسحاب .. ولكن يكفي هذا القدر من هذه المأساة .. فلقد كانوا قتلة .. وما كانوا أبداً مقاتلين ، وهناك فرق كبير بين القتال والقتل . فلقد ذكرت صحيفة – هاعولام – هذا العام – ورئيس تحريرها هو يوري أفنيري ، في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٧٣ :

– « في حرب ١٩٦٧ ، كان الجيش الذي هاجم سيناء تحت قيادة شارون وهو المسئول شخصياً عن مصرع مئات من الجنود المصريين .. إذ رفض شارون اعتبارهم أسرى حرب خلال الأيام الأخيرة للحرب ، لأن تعليمات ديان كانت تقضي بعدم الالتجاء إلى أسر الجنود المصريين في سيناء وتأمر بإبادتهم » ..

وتكفيني هذه الشهادة العبرية ..

* * *

إرهاب مرضى مصريين

أحد ضباط القوات المسلحة ، قال : للأسف الشديد فإن الحكومة المصرية قد قامت بالتعتيم الإعلامي لما حدث من القوات الإسرائيلية ، ضد المدنيين في غزة ورفح وشرم الشيخ .. لقد قتلوا المدنيين في هذه المدن ، ولكن أقسى ما حدث تلك المذبحة التي حدثت لجنود مصر الجرحى في مستشفى شرم الشيخ ..

فعند اندلاع الحرب أصيب بعض الجنود – وكان عددهم يعد بالعشرات – فحولنا مستشفى شرم الشيخ الصغيرة إلى مستشفى عسكري ، وعند صدور أوامر الإنسحاب كان يصعب نقل هؤلاء الجرحى مع الإنسحاب ، وكان القائد يتصور أن اليهود سوف يقومون بإسعاف الجرحى ورعايتهم طبياً .. وانتظرنا عودتهم .. ولكن لم يعودوا .. كما لم نجد أسماء هؤلاء الجرحى ضمن قوائم الأسرى ، وبعد انسحاب إسرائيل من سيناء ، وعودة القوات المصرية إلى شرم الشيخ ، سألنا بعض البدو عن الجرحى .. والمستشفى .. فقالوا لنا أن المرضى قد دفنوا في الرمال .. فسألناهم .. هل دفنوهم أحياء .. فقيل إنهم دفنوا .. وكانوا أمواتاً ..

بحثنا عنهم في باطن الأرض فلم نعثر لهم على أثر ..

ما كنت أريد أن أكتب هذه القصة في هذه الأوراق ، لأنه لا يوجد ما يؤكدها ولأن مصر لم تشر إليها من بعيد أو قريب . ثم وقعت في يدي وثيقة فك رموز هذه الرواية ، وهي في كتاب « إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة » الذي كتبه الكاتب الإسرائيلي إيلان هاليفي[1] وترجمته منى عبد الله . يقول في ص ١٠٨ :

– « في كتاب صدر في تل أبيب عام ١٩٦٩ باللغة العبرية يحصي يوري ملشتاين العمليات التي قامت بها الوحدة ١٠١ الشهيرة المتخصصة بتدمير القرى العربية خارج حدود الدولة الجديدة ، ويرفق هذا الإحصاء بروايات وشهادات الجنود المشتركين .. كان قائدها شارون ، ونائبه شلوموبوم الذي يحكي في إسرائيل أنه أجهز على الجنود المصريين الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام ١٩٦٧ ، ولم يحقق أبداً في هذه القضية ، وكان بطل هذه الوحدة مائير هار – تزيون الذي ألف كتاباً عن ذكرياته عن تلك المرحلة في عام ١٩٦٩ ، وفيه يصف مشاعر الحنين إلى الماضي حيث كان يتلذذ بقتل رجل بسكين ، وهو نفسه الذي أعلن في حديث لمجلة هارتس في عام ١٩٦٥ أنه لم يشعر بالندم ، وتساءل .. لماذا يجب أن أشعر بذلك .

* * *

مما لا شك فيه أن فصول هذه المذبحة كانت غاية في البشاعة ، ولكن .. لماذا عتمت الحكومة المصرية في ذلك الوقت عن مجازر إسرائيل في كل أنحاء سيناء ، رغم أنها تملك كل التفاصيل ؟!!

المـــوت للمصـــريين !!

إسرائيل لا تستطيع الاستمرار في حرب طويلة ، فهي دائماً تجمع كل قواها وتضرب ضربة واحدة قوية وخاطفة ، تحقق من خلالها هدف الحرب ، معتمدة على سرعة اليأس العربي عند أول هزيمة ، وعدم القدرة على ترتيب البيت العسكري من جديد ، ثم

---

(١) يهودي فرنسي ، هاجر إلى إسرائيل ، ثم اكتشف في عام ١٩٦٦ إرهابية الصهيونية فقام بمناهضة النظام العنصري في إسرائيل ، ثم سافر إلى فرنسا في عام ١٩٧٦ ، وقدم صورة للعرب داخل إسرائيل ، فقررت حكومته اعتقاله وتقديمه للمحاكمة ، فظل في فرنسا ومازال حتى الآن يناهض الإرهاب الصهيوني ..

التخطيط لحرب طويلة تمهيداً لحرب حاسمة .. ومما لا شك فيه أن أعظم عمل قام به الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ ، أن استطاع إعادة بناء القوات المسلحة المصرية ، يقول الفريق محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية المصري[١] :

– « فعندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر الهدف الاستراتيجي لمصر في أول تلقين عسكري لي في ١٩٦٧/٦/١١ ، وحدد زمن تحقيق هذا الهدف بثلاث سنوات تقريباً ، استمر يجاهد جهاداً شاقاً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ومعنوياً بتأييد مطلق من الشعب مستعيناً بقيادات عسكرية قادرة ، أعطاها كل السلطات والصلاحيات لبناء وإعادة تنظيم القوات المسلحة » ..

وفي نفس الوقت ، قامت مصر بحرب مقدسة هي حرب الاستنزاف والتي استمرت ثلاث سنوات ، وهي الحرب التي قال عنها أبا إيبان : « إن قصف المدفعية المصرية مع الغارات الجوية عبر قناة السويس ، كان يسبب خسائر قاسية من القتلى بمثل ما كان يتسبب لنا من خسائر في أي حرب ، إن وقف إطلاق النار تم استقباله في إسرائيل بشعور من الرضا[٢] حيث يتساوى معه لو كنا قد توصلنا إلى تسوية سلمية ، إن نشرات الأخبار الحزينة تخبرنا بأسماء الشبان القتلى في المعركة ، وأن خسائرنا في المعدات الثمينة[٣] قد جعلت حرب الاستنزاف غالية التكاليف لنا » ، وقال الكاتب الإسرائيلي ماتي بينيه ، وهو عميد سابق في الجيش الإسرائيلي « إن فشل الجيش الإسرائيلي من الناحية العسكرية في حرب الاستنزاف يمثل أول معركة يهزم فيها في ساحة القتال منذ قيام إسرائيل لدرجة أننا في إسرائيل قبضنا على أول قشة ألقيت إلينا ، أي وقف إطلاق النار المؤقت » ..

* * *

مما لاشك فيه أن إسرائيل قد سئمت هذه الحرب والتي أحدثت لها أول شرخ في كيانها ، وكان الجندي يفضل التوجه إلى جهة غير الجهة الجنوبية حيث حرب الاستنزاف ، وفي نفس الوقت فإن هذه الحرب لم تكن على هوى إسرائيل .. فماذا تفعل ؟ .. أعلنت إسرائيل ما أسمته « حرب الأعماق » .. أي ضرب مصر بالطيران في

---

(١) حرب الثلاث سنوات (الفريق محمد فوزي) ص ٣٧٩ – ٣٨٠ .

(٢) بعد قبول الرئيس الراحل عبد الناصر مشروع روجرز الأمريكي للسلام .

(٣) طائرات الفانتوم والسكاي هوك والميراج .

الداخل ، وبدلاً من اختيار أهداف عسكرية فقط ، اختارت أهدافاً مدنية « لإحداث ثورة شعبية ضد النظام » ، وللأسف الشديد ، تصورت القيادة السياسية ان ضرب الأعماق قد يؤدي إلى هذا ، مما جعلها تقبل مشروع روجرز .. وربما لا تعلم القيادة السياسية أن « حرب الأعماق » التي شنتها إسرائيل قد قربت المسافات بين الشعب وقيادته السياسية ، وأعادت جانباً من الثقة في النظام بعد هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ .

« حرب الأعماق » .. ما هي إلا استخدام الطائرات في عمليات إرهابية ضد المدنيين ، قامت إسرائيل بعدة عمليات إرهابية ضد المدنيين ، إلا أن قمة المأساة كانت صباح الثاني عشر من فبراير عام ١٩٧٠ ، ففي صباح هذا اليوم شهدت قرية مصرية ، اسمها قرية بحر البقر ، من قرى محافظة الشرقية ، مأساة ستظل أجيال مصر تتداولها ..

مأساة تلاميذ بحر البقر

ذهب الصغار إلى المدرسة الإبتدائية الوحيدة في القرية ، وفي العاشرة صباحاً ، جاء عدد من طائرات الفانتوم الأمريكية ، وألقى الطيارون الإسرائيليون أطنان القذائف على هذه القرية ، ولم يتمكن الصغار من الهرب من تلك الغارة الوحشية على مدرسة الأطفال ، وتحولت المدرسة إلى أنقاض ، واختلطت جثث القتلى بالجرحى وتلطخت كراسات الصغار بالدماء ، واستشهد في هذه الغارة التي أرهبت الصغار ثلاثون طفلاً مصرياً في عمر الزهور ، وأصيب ستة وثلاثون آخرون ، واستشهد مدني واحد وأصيب عشرة مدنيين كانوا على مقربة من مدرسة بحر البقر ، فماذا كان رد الفعل لهذه الغارة ؟ على مستوى الشعب المصري : هزت الجريمة الإسرائيلية البشعة على المدرسة الإبتدائية بطائرات الفانتوم ، ضمير الشعب المصري ، وحولته إلى قوة تريد أن ترد على هذا الهجوم البربري ، أو أن تموت ، وطالب الشعب بالرد بالمثل ، وقامت المظاهرات تطالب بالثأر من الإرهابيين الإسرائيليين .

على مستوى الإدارة السياسية : خشيت الإدارة من انقلاب هذه الغضبة الشعبية على إسرائيل ، إلى الإدارة نفسها ، وكانت هذه المجزرة ، واحدة من الأسباب التي دفعت الإدارة المصرية وقف حرب الاستنزاف بعد ذلك بعد شهور ..

أذكر بهذا الصدد أن هذه الجريمة ، قد هزت الشاعر الراحل صلاح جاهين ، فكتب أغنية أدتها الفنانة المصرية شادية .. تصور الأغنية مدرسة من بحر البقر ، تقف أمام الصغار .. وتقول :

زرع ..

يردد الصغار :

زرع ..

تقول : حصـــد ..

يردد الصغار : حصـــد ..

ثم تصرخ الفنانة شادية وتقول :

قتـــل ..

قتـــل ..

ذبـــح ..

ذبـــح ..

وأذيعت هذه الأغنية مرة واحدة فقط من التليفزيون المصري ، وكان لها تأثير خطير على عواطف الشعب وضميره ، مما دفع الحكومة إلى حظر إذاعة هذه الأغنية ..

على مستوى الإدارة العسكرية الإسرائيلية : كانت سعادة إسرائيل لا توصف بالنصر على أطفال بحر البقر ، وقال موشى ديان باستهتار شديد ، وبوقاحة الإرهابي : « ان هؤلاء الصغار الذين ماتوا نتيجة الغارة الإسرائيلية لابد أنهم كانوا داخل مؤسسة عسكرية مصرية » ..

على مستوى العالم : لم يتمكن حلفاء إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية من تبرير هذه الغارة الوحشية الإرهابية على أطفال مصر ، فقالت صحيفة دايلي ورلد الأمريكية : « أن مسئولية الولايات المتحدة الأمريكية أكبر بكثير من مجرد تزويد إسرائيل بطائرات الفانتوم التي نفذت بها هذه المذبحة » .. وقالت الصحيفة الأمريكية : « أن رفات ثلاثين طفلاً تصيح في وجه أمريكا ، فإن هذه المذبحة تشبه مذبحة قرية بيونج بي الفيتنامية » ..

وفي وارسو قالت صحيفة « تريبو يالودو » البولندية : « ان غارات إسرائيل على مدرسة الأطفال في محافظة الشرقية المصرية ، تعيد إلى الأذهان ماحدث في بولندا .. صورة ملايين الأطفال البولنديين الذين لقوا مصرعهم على يد النازيين ..

ووصف كيسلوف مراسل وكالة تاس في القاهرة ، بعد زيارته للمدرسة : « أن الجريمة الإسرائيلية لا توصف إلا بالدناءة والإرهاب ، لقد استمعت إلى شهود العيان الذين قرروا أن التلاميذ الأبرياء في مدرسة بحر البقر الإبتدائية كانوا مجتمعين في المدرسة ، ثم

جاءت طائرات الفانتوم الإسرائيلية – أمريكية الصنع على ارتفاع منخفض ، وضربت المدرسة بالقنابل أو الصواريخ ثم هاجمت مساكن القرية ، وقال ان هذه المجزرة الجديدة دليل على عجز ويأس المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ..

وقال يوري روكوف المعلق السياسي لصحيفة البرافدا : « ان قتلة الأطفال ، يعملون بتعليمات من الإرهابي السفاح موشى ديان الذي تجرد من كل إحساساته البشرية ، وسوف يحصلون على عكس النتائج التي توقعوها » ..

وقالت صحيفة برافدا في تعليق لها يوم ١٠ أبريل عام ١٩٧٠ : « ان زعماء إسرائيل أخوة هتلر وهملر ، ويجب على موشى ديان وجولدا مائير وقادة إسرائيل أن يتذكروا أن طائرات الفانتوم الأمريكية وأموال روتشيلد روكفلر الطائلة لن تنقذهم من الانتقام .

* * *

لقد كانت مذبحة بحر البقر هي قمة الإرهاب باستخدام الطيران الإسرائيلي .. وكانت هذه المذبحة سلسلة من مذابح أخرى سبقتها ، ولكنها لم تكن بتأثير ما حدث في مدرسة الصغار ..

مجزرة عمال أبو زعبل

في صباح اليوم الثاني عشر من فبراير عام ١٩٧٠ ، ذهب عمال مصنع أبو زعبل للشركة الأهلية المصرية للصناعات المعدنية ، لاستلام وردية الصباح من عمال وردية الفجر ، وأصبح المصنع مكتظاً بعمال الورديتين ، وفجأة جاءت طائرتان إسرائيليتان من طراز فانتوم الجبارة ، وألقت بقنابلها على المصنع المدني ، فاستشهد في الحال ٧٠ عاملاً ، وأصيب ٦٩ آخرون ، وشب الحريق في المصنع ، وأعلنت إسرائيل ــ بكل وقاحة ــ أنها كانت تهدف بغارتها على المصنع ، رغم أنه من المصانع المدنية وقالت المصادر المصرية الرسمية : « ان الغارة قد تمت بالطائرات الأمريكية التي وعد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية استمرار تزويد إسرائيل بها » ، وفي نفس الوقت طالب عمال مصر بالمعاملة بالمثل ، وضرب أهداف مدنية داخل إسرائيل أسوة بما تفعله في مصر وهناك إرهاب كان لا يعلن عنه لعدم إثارة مشاعر الشعب المصري ، كما حدث في قناطر اسنا ..

لم يطلب عمال مصر حمايتهم من غارات إسرائيل الدموية ، ولكنهم طالبوا بالانتقام ، والمعاملة بالمثل ، وقاموا بزيادة خطيرة في الإنتاج ، وقالوا لو أن زيادة الإنتاج وحدها

كفيلة بالمساهمة في إعداد الدولة لحرب فاصلة مع هذا العدو الذي لا يعرف لإرهابه حدود .

كان موقفاً رائعاً لعمال مصر بعد غارة أبو زعبل واستشهاد رفاق العمل .. طالبوا بالثأر ، وزادوا الإنتاج ..

كانت للغارة الإسرائيلية على مصنع أبو زعبل المدني ردود فعل عالمية ، لقد استنكرت في استحياء الولايات المتحدة الأمريكية على لسان المتحدث الرسمي للبيت الأبيض .. ولكن حايم هيرتزوج المعلق العسكري الإسرائيلي قال رداً على الاستنكار الأمريكي : « بأن إسرائيل تحذو حذو أمريكا عندما تضرب أهدافاً مدنية ، ثم ان هذا قد حدث بطريق الخطأ » .. وإني في غاية الدهشة لأن أمريكا تستنكر الغارة على أبو زعبل في الوقت الذي تقوم طائراتها بضرب أهداف مدنية في فيتنام ثم تزعم بعد ذلك أن هذا حدث بطريق الخطأ ..

وفي موسكو .. شنت صحيفة برافدا « السوفيتية » هجوماً عنيفاً على إسرائيل وقارنت بين أساليب الصهيونية والنازية وقالت ان الحيوانات المفترسة لها نفس الشهية وقالت البرافدا أن الغارات التي شنتها إسرائيل على الشعوب العربية تشبه عمليات الإبادة التي تعرض لها اليهود في بابي وتريبلينكا وداشاو وأن الأيام أظهرت أنه ليس هناك اختلاف بين الصهيونية والنازية ..

وقال الكسندر كيسلوف مراسل وكالة تاس في القاهرة : « لقد وقعت الغارة الوحشية في الساعة الثامنة والربع من صباح ١٩٧٠/٢/١٢ وهو الوقت الذي يبدأ فيه العمل في المصنع الذي يبلغ مجموع العاملين به حوالي ألفي عامل ، فهم يعملون على دورات ، كان ١٣٠٠ عامل منهم يعملون في الأقسام المختلفة بالمصنع وقت وقوع الغارة ، ويدل اختيار إسرائيل هذا الوقت بالذات للقيام بالغارة الوحشية ضد المدنيين من جرم ليس له مثيل ..

وقال الكسندر كيسلوف مراسل وكالة تاس في القاهرة : « ان إسرائيل قد ارتكبت اليوم جريمة دموية أخرى ضد السكان المدنيين في مصر ، وقال المراسل لقد شاهدنا بأنفسنا في المستشفى عمالاً أصيبوا بحروق من قنابل النابالم وقالت الوكالة في تعليقها أن هذه الجريمة وغيرها من الجرائم التي ترتكبها العسكرية الإسرائيلية بهدف تحطيم الروح المعنوية للشعب المصري وبهدف اخضاع هذا الشعب وبث الرعب في صفوفه .. إن هذه الجرائم لن تؤدي إلى النتائج التي يصبو إليها هؤلاء المعتدون » ..

وتنهي قصة هذه الجريمة بالتعليق الذي أعلنه الرئيس اليوغسلافي الراحل جوزيف بروز تيتو .. قال :

« أشعر بمرارة بالغة من جراء الهجوم الوحشي الذي شنته مؤخراً قوات إسرائيل الجوية على أحد المصانع والسكان المدنيين في ضواحي القاهرة وانتابني عميق الأسى عندما سمعت أن هذه الأعداد الكبيرة من العمال قد لقيت حتفها وأصيبت ومن العسير علي أن أجد الكلمات المناسبة لأعرب عن استنكارنا لهذا الهجوم الإجرامي على السكان المدنيين الآمنين ، إن هذا الهجوم الوحشي علامة على التصعيد العام للنشاط العدواني الإسرائيلي ويذكرنا من كل الوجوه بالسلوك النازي إبان الحرب العالمية الثانية » ..

* * *

مأســاة طائرة مدنيـــة

تأخرت الطائرة المدنية القادمة من ليبيا أكثر من ربع ساعة ، بعد أن أعلن مطار القاهرة الدولي عن اقتراب وصولها ، وفجأة سمعت مطارات المنطقة ، وهي مطارات القاهرة وبن جوريون وأثينا وقبرص وبيروت ودمشق ، صوت استغاثة من قائد الطائرة .. قال القائد :

– أن أربع طائرات حربية إسرائيلية من طراز فانتوم تحاصر الطائرة ، الركاب في حالة فزع شديد ..

وسأله : أين أنت ؟

قال : فوق شبه جزيرة سيناء بالقرب من قناة السويس ، لقد ضللت الطريق ..

وبدأ مطار القاهرة يرشده عن طريق العودة إلى القاهرة ، واستمر الحوار بين قائد الطائرة وبين برج مراقبة القاهرة ٩ دقائق كاملة .. ثم صاح القائد :

– إننا الآن نضرب – الركاب في هلع .. المقاتلات الإسرائيلية تضربنا وسكت صوت قائد الطائرة .. وساد صمت .. إلا من صوت برج المراقبة وهو ينادي في الفضاء على الطائرة الليبية القادمة من طرابلس إلى القاهرة وعليها ١١٣ مدنياً من عدة جنسيات ..

فماذا حدث خلال تلك الدقائق التسعة من إحاطة الطائرات الإسرائيلية ، تلك الطائرة ، حتى سكت صوت قائد الطائرة ؟

لقد دخلت الطائرة الليبية صباح يوم ٢٢ فبراير عام ١٩٧٣ ، أجواء سيناء بالخطأ ، فخرجت إليها أربع طائرات إسرائيلية مقاتلة من طراز فانتوم ، واتصل قائد التشكيل المقاتل برئاسة القوات الجوية ، ثم اتصل قائد القوات الجوية بموشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي ، فاتصل برئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير التي أمرت بضرب الطائرة الليبية المدنية مهما كانت النتائج ..

وابتعد فرسان الجو الإسرائيليون عن الطائرة المدنية الليبية ، وأطلقوا عليها الصواريخ فهوت محترقة في سيناء ، محدثة نافورة من النيران ، شاهدتها قوات مصر المسلحة على ضفاف القناة ، حيث أبلغوا الخبر الحزين للقيادة المصرية ، وفي المساء فتحت القوات المسلحة المصرية النيران على القوات الإسرائيلية ، في قتال شرس انتقاماً لضحايا الطائرة المدنية ..

* * *

سقطت الطائرة فمات على الفور ١٠٩ مدنيين ، وأصيب أربعة بحروق شديدة ، وحالتهم سيئة ، وقام الصليب الأحمر الدولي باستلام المصابين الأربعة من إسرائيل ، وقام بتسليمهم إلى مصر ، وعاشت مصر كلها في حزن أليم على ضحايا الطائرة ، فلقد كان من بين الضحايا نجمة تليفزيونية محبوبة في طول مصر وعرضها ، بل في العالم العربي هي سلوى حجازي ، الشاعرة والمذيعة والأم ، والزوجة .. كانت سلوى في مهمة إلى تليفزيون طرابلس ، ولكنها قطعت المهمة لتعود لأولادها الأربعة رضوى ومحمد وامر وهاني .. فلقد كانت الشهيدة مذيعة ناجحة وأم فاضلة ، وضيفة محبوبة كل ليلة في كل البيوت المصرية من خلال الشاشة الصغيرة .. كان من بين الضحايا صالح مسعود بويصير وزير خارجية ليبيا الأسبق ، وكان الرجل يملأ الدنيا شعراً وأدباً وخلقاً ، كان هناك العروسان اللذان جاءا إلى مصر لقضاء شهر العسل ، كان من بين الشهداء الأطفال والرضع والأمهات والآباء .. كان هناك ٣٩ مصرياً والباقي من ليبيا ولبنان وسوريا وفلسطين ..

* * *

استنكر العالم كله هذا العمل الإرهابي القذر ، حتى الولايات المتحدة الأمريكية .. حليفة إسرائيل لم تتمكن من مساندتها في هذا العمل الإرهابي الذي فاق كل تصور وأدانت هذا العمل ، ووصفته بعض الصحف الأمريكية بأنه عمل إرهابي جبان وقذر ..

أمام موجة الانتقاد العالمية الشديدة لاسرائيل ، قالت ان الطائرة انفجرت في هبوط اضطراري ، فأخرجت مصر نص الحوار الذي دار بين قائد الطائرة وبرج المراقبة .. فقالت ان المدفعية المضاد للطائرات هي التي أسقطتها ، فقالت مصر ان قائد الطائرة قد حدد أربع طائرات حربية إسرائيلية ومن طراز فانتوم كانت تحيط بالطائرة المدنية ، ولا يعقل أن تطلق المدفعية المضادة صواريخها على الطائرة ، وهي محاصرة بأربع طائرات إسرائيلية ، فمن الممكن أن تسقط صواريخ المدفعية الطائرات الإسرائيلية نفسها ..

وهنا .. اعترفت إسرائيل – بوقاحة – بأن طائراتها الحربية هي التي أطلقت الصواريخ على الطائرة المدنية وأسقطتها ، وقال ديان في مؤتمر صحفي أنه يرفض إجراء تحقيق في الحادث وأنه سيرسل إلى جولدا مائير رئيس وزراء إسرائيل المعلومات المتعلقة به وهي حرة ترسله لمن تشاء .. وقال انه يرفض قيام أي جهة أجنبية بالتحقيق في الحادث ، وأعلن رفضه لدفع أي تعويضات لضحايا الجريمة ، ثم قال باستخفاف ولا أتوقع أى انتقام للحادث ..

لقد وقع حادث الطائرة استخفافاً من اسرائيل بالعالم العربي كله ، وقعت الجريمة الإرهابية هذه قبل حرب أكتوبر بعشرة شهور ، ولقد انتقل الاستخفاف من موشي ديان إلى صحيفة جيروسالم بوست الإسرائيلية ، فقالت : إن عداوة العرب لإسرائيل متأصلة وعميقة الجذور ، بحيث لن يزيد تدمير هذه الطائرة عمقاً ..

ووصفت صحيفة هاارتس الإسرائيلية قرار جولدا مائير بإسقاط الطائرة المدنية بأنه قرار سليم ..

وقالت صحيفة دافار : نرفض تحميل إسرائيل مسئولية تدمير هذه الطائرة .. ولكنها في نفس الوقت لم تذكر من يتحمل مسئولية هذه الجريمة ..

وعندما سئلت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل عن قرارها قالت : نأسف لهذا الخطأ ، فردت عليها صحيفة الجارديان البريطانية ان أسف جولدا مائير هو نوع من النفاق إزاء مائة من القتلى الأبرياء ..

* * *

وهذه قائمة بأسماء شهداء الطائرة المدنية التي أسقطتها أربع طائرات إسرائيلية على بعد ٢٠ كيلومتراً شرق قناة السويس في الثاني والعشرين من فبراير عام ١٩٧٣ :

الضحايا المصريون

١ – عبد الحميد محمد أبو زيد
٢ – عزيز حسن الوكيل
٣ – عواد مصطفى عبد المعطي
٤ – سلوى حجازي
٥ – سهير زكي شادي
٦ – حسن زكي شادي
٧ – محمد عبد الرحمن محمود
٨ – نادية محمد عطية
٩ – رجب محمد عبد الحق
١٠– سعد الدين التفي
١١– مديحة محمود صالح
١٢– زينب صالح علي مصطفى
١٣– محمد لبيب إسماعيل
١٤– سهير مصطفي شكري
١٥– ميرفت محمد محمود
١٦– سهير إبراهيم عبد الله
١٧– محمد إسماعيل قطب
١٨– محمد أحمد السيد قطب
١٩– محمد حسن علي
٢٠– عصام أحمد
٢١– محمود حسن أبو عافية
٢٢– عبد العزيز صلاح
٢٣– مصطفى محمد حنفي
٢٤– فيصل محمد حسن الشريف
٢٥– فاروق محمد أبو زيد
٢٦– فتحية عبد العزيز
٢٧– عزت ناصف علي
٢٨– حسني أحمد حسن
٢٩– عزت عبد الحميد حسن
٣٠– اعتدال زكي محمد
٣١– صلاح محمد إسماعيل
٣٢– عطيات محمد الشرقاوي
٣٣– السيد إمام عوض
٣٤– هاني إبراهيم
٣٥– جمال الدين عفيفي
٣٦– محمد حيدر قنديل
٣٧– حسن صالح سالم
٣٨– محمد محمد حجازي
٣٩– نعيمة إبراهيم حسن

الضحايا الليبيون

١ – عوض مصطفى السداوي
٢ – رجب سليمان عكاشة
٣ – الصالحية الصويعي
٤ – نجمة عبد العزيز الحصادي
٥ – السنوسي محمد نجم
٦ – أبو بكر محمد
٧ – رشيد محمد المالطي
٨ – محمد سعد أبو زيد
٩ – إسماعيل محمد
١٠– ميروك محمد جويلي

١١- منصور علي الشقعاني
١٢- حسن الرهوني
١٣- عبد الحفيظ محمد أرحم
١٤- عبد العظيم مصطفى
١٥- عز عبد الرحمن الصادق
١٦- عطية خليفة كرباج
١٧- ميلاد أبو سعيد محمد
١٨- سالم محمد اللوم
١٩- فتحي جاب الله الكوم
٢٠- إبراهيم الطاهر
٢١- سعاد الهنتاوي
٢٢- علي عبد العال النابلي
٢٣- فتحي شعبان
٢٤- فرج عبد السلام الشاط
٢٥- عيسى صالح سعيد
٢٦- مخزوم محمد محمد
٢٧- صالح مسعود بويصير (٤٨ سنة - وزير خارجية ليبيا السابق)
٢٨- فاطمة مبروك
٢٩- علي إبراهيم حسونة
٣٠- السنوسي الرعودي
٣١- هاشم فرج
٣٢- محمد عبد الله الشكماك
٣٣- عبد الله محمد أبو زيد
٣٤- محمد إبراهيم حسونة
٣٥- حسونة إبراهيم حسونة
٣٦- علي بوشا المكي
٣٧- فوزي علي جعفر
٣٨- محمد الصادق الورفلي
٣٩- أمال محمد البكوش
٤٠- عبد القادر طه الطويل
٤١- محمد الصالحين العيطي
٤٢- عبد الواحد مفتاح عبد الكافي
٤٣- أبو بكر محمد الحجاجي

الضحايا الأردنيون

٢ - عبد الله الخليل
٢ - محمد غسان محمد علي
٣ - فتوح خليل عيسى
٤ - فهمي عبد القادر

الضحايا اللبنانيون

١ - موريس كامل جرجس
٢ - سيد قاسم
٣ - محمد ياسين
٤ - عارف محمد

الضحايا السوريون

١ - محمد عبد القادر السلوب
٢ - عبد الرحمن بري

٣ – محمد صالح الديـــاري ٤ – ســـليم إســـماعيل

الضحايا الفلســـــطينيون

١ – حسني عوض علي عوض ٢ – فاطمـــة حســـن أحمـــد